

## «سريبرينيتشا - الجريمة والعقاب» في «هنغار أمم»



● أكياس بقايا البشر على الرفوف - صورة التقطها ضياء غافيتش

### رامسي الأمين

مداخلته في الندوة التي عقدت مساء أمس في المنغار، إن معظم المقابر الجماعية تكتشف في أماكن جميلة. لا يمكن دفن الوحشية في أكمة بشعة من دون أن يعثر عليها بسهولة، دائماً ما يستعان بالجمال لطمس الجرائم.

الصور التي يحتويها المعرض تؤكد ذلك. مشاهد طبيعية رائعة تخترقها جمجمة هنا، أو جثة هناك. لقطات لأشخاص يعانون أوقات عصيبة في مخيمات اللجوء، أو في أماكن التعرف على جثث أقاربهم.

كثيرة هي الجثث في صور المعرض. لكنها تبقى أرقاماً أو هياكل عظمية، أو حتى مقتنيات خاصة للضحايا. أحياناً صورة الأم التي تبكي ولدها تعد جثة. أو الطفل الذي يبحث عن والده بين القتلى. إحدى الصور تظهر جثثاً مكدسة فوق بعضها البعض في أكياس على رفوف. للوهلة الأولى، لا تبدو هذه الأكياس لحفظ الجثث. لا يقبل العقل البشري مشهداً كهذا بسهولة. لكنه واقع قد حدث، والكاميرا تصادق عليه.

الندوة التي نظمت تحت عنوان «سريبرينيتشا - الجريمة والعقاب» تناولت مداخلة من ضياء غافيتش تحت عنوان «قصص من وادي الظلمات» تحدث خلالها عن تجربته في تغطية مجازر الصرب، ومداخلة أخرى من أمين مكي مدني تحت عنوان «المحاسبة على جرائم الإبادة في الإطارين المحلي والدولي»، والتي تحدث في خلالها عن دور الحكومات في تغطية أو في ارتكاب المجازر في أكثر الأحيان.

وكانت لافتة مداخلة حازم صاغية تحت عنوان «الثقافة حين تخدم المجزرة»، وأضاء فيها على الشبه الكبير بين الثقافة والمجزرة، وعرج على مواقف الكثير من المثقفين عبر العصور حول العنف وتبريره، فذهب إلى القول إن «تأييد المجزرة غالباً ما يكون صعباً فيحل محله الصمت عنه، على ما فعل كثيرون من المثقفين العرب حيال حلبجة الكردية، وما يفعلونه اليوم حيال دارفور السودانية».

كما شهدت الندوة جولة ثانية تحت عنوان «الحقيقة والعدالة» وكانت المداخلات لكل من مرصاد توكوشا، ونزار صاغية.

الحرارة بدأت ترتفع في بيروت. ليس الطقس وجلسات الحوار والإشتغال السياسي وحدها سبباً لارتفاعها. بيروت هذه الأيام تصنع نفسها. تبني ثقافتها الجديدة، وتنتزع بكل ما هو جميل. في الصورة المعلقة على حائط معرض سريبرينيتشا، الذي يقام في «هنغار أمم»، مجمتان على الثلج. الحرارة منخفضة في سريبرينيتشا، المكان الذي شهد إحدى أكثر المجازر وحشية في التاريخ. هل بردت المجزرة بعد أحد عشر عاماً على ارتكابها؟ بالطبع لا. إنشا الطبيعة تصنع البرد. الثلج الذي يلمس المروج، والجثث والهياكل العظمية. مقتلتها تنتقل اليوم لتتضم إلى ذاكرة بيروت، لتضيف حرارتها إلى حرارة هذه العاصمة. هذه المقتلة الوحشية تنتقل اليوم إلى جدران «المنغار»، حيث تطرح الأسئلة الكبيرة، لتكون برسم الكثيرين من ارتكبوها ويرتكبون وسيرتكبون مجازر في المستقبل.

معرض الصور هذا، كان قد نظم لأول مرة في العاصمة البلجيكية بروكسل في حزيران ٢٠٠٥ (يونيو)، ثم في بلغراد وبرلين وواشنطن وستراسبورغ وسراييفو، ليستقر في بيروت، التي تشهد سجالاً واسعة حول الحرب الأهلية. ومجازر العدو الإسرائيلي، والمقابر الجماعية التي تكتشف هنا وهناك.

سريبرينيتشا ليست بعيدة عن بيروت، ولا هي بعيدة عن أي مكان في العالم. فالعنت لا ينفك يجتاح العالم، من البوسنة والهرسك إلى حلبجة في العراق، إلى فلسطين، ولبنان، وليس انتهاء طبعاً برأبو غريب، البقعة السوداء الكبيرة في سجل الولايات المتحدة الأميركية. بهذا المعنى يتعصب المعرض بعداً عالمياً وإنسانياً، وليس مقتصراً على إحياء ذكرى مجزرة من مجازر التاريخ الكثيرة.

سريبرينيتشا هنا هي الذاكرة الواعية لكل الناس أينما وجدوا في هذا العالم. الذاكرة التي يجب أن تؤسس لمستقبل أكثر أماناً وسلاماً.

الصور في المعرض تصنع من الموت فناً. تزين المجازر بالألوان والأضواء وعدسات الكاميرات. هذا الأمر الذي عبر عنه المصور الفوتوغرافي ضياء غافيتش، عندما قال في